د. سلاف بوحلايس
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المادة: النقد الموضوعاتي
الاختصاص: نقد ومناهج –الليسانس-
المستوى: السداسي السادس

عنوان الدرس: تحليل نصوص من: شعرية المكان، التحليل النفسي للنار لغاستون باشلار

عناصر الدرس

1. الخلفية الفلسفية والمعرفية لموضوعاتية باشلار
2. مميزات النقد الموضوعاتي عند باشلار

1. الخلفية الفلسفية والمعرفية لموضوعاتية باشلار:

هناك مؤثران لعبا دورا مهما في منحى غاستون باشلار : **الفرويدية والظاهراتية**، لكن سرعان ما انفصل باشلار عن الفرويدية، أما الظاهراتية فلقد تركت فيه أثرا أعمق، فبفضلها توصل باشلار جزئيا إلى مفهومه عن الصور images وحلم اليقظة rêverie وهو مزيج بين الذات والموضوع "أنا أحلم العالم، فالعالم إذا موجود كما أحلمه"

وتتحالف المقاربة الظاهراتية عند باشلار مع إنسانية مبدعة تمنح قيمة لكافة الظاهرات المتعلقة بالوعي، إذ يرى أعلى درجاته في الأدب وبصورة خاصة في الشعر الذي ارتبط به دون سواه .

يضم الخيال عند باشلار كافة الوظائف النفسية للإنسان الوظيفة الإبداعية والاجرائية، ويرجعنا باشلار لتأسيس هذا الحدس إلى درس الشاعر الألماني نوفاليس Novalis الذي يرى أن الشعر "فن الدينامية النفسية"، ويعد باشلار في ذلك وريث ومتابع الفكر الرومنسي الألماني .

ومن هنا فللصورة إذا دور وجودي مؤسس.

يقول باشلار في كتابه "شعرية المكان":

"الصورة وهي النتاج الخالص لخيال مطلق ظاهرة وجود وإحدى الظواهر الخاصة بالكائن الناطق".

فالصورة ليست إذا خطابا تفسيريا ولا ترمي إلى الزخرف، وتفترض هذه القناعة تصورا للخيال لا يتفق والخطاب التحليلي النفسي، وبالرغم من أن التحليل النفسي قد استمال باشلار مثما يظهره عنوان الدراسة التي كرسها لخيال النار فهو سرعان ما تخلى عنه، فقد حل اسم يونغ تدريجيا محل الإحالة إلى فرويد.

2. مميزات النقد الموضوعاتي عند باشلار:

يعبر فكر باشلار عن ظاهراتية للتخييل توجهها تجربته كقارئ وقد قاده هذا الإجراء المرن والتجريبي على التوالي إلى أخذ الخيال في تركيبته "المادية " ومن ثم في صورته "الحركية".

عمل باشلار إذا على تحديد أنماط حلم اليقظة الانساني بالمادة وإظهار كيفية تحكمه بالكتابة كتجربة مادية للعالم عند الشعراء بصورة خاصة.

وقد اقتبس باشلار من أرسطو تمييزه بين العناصر الأربعة التي ستتحكم في مفصلة فكره بدءا من "التحليل النفسي للنار "، ولا شك أن اهتمام باشلار بالكيمياء القديمة التي ألم بها عن طريق يونغ كان محددا لهذا الخيار.

ولقد قاد هذا الأمر باشلار إلى إعمال فكره في« موضوعات » هي تجسيد مسبق للموضوعات التي سيمنحها الموضوعاتيون فيما بعد امتيازا خاصا مثل موضوعات "المياه الرقراقة " و"المياه العاشقة"،"المياه العميقة " و"الماء الثقيل " و "الماء العنيف " في كتابه "الماء والأحلام" على سبيل ا لمثال، وموضوعات« الحلم بالطيران » و« السقطة الخيالية » و« الشجرة الهوائية » وغيرها في كتابه« الهواء والأحلام»

لقد فتحت هذه التجسدات الجوهرية لقيم نفسية أمام التحليل حقلا واسعا على صعيد اللغة والمفاهيم ، قام النقد الموضوعاتي بعد ذلك باستثمارها، حيث يبشر باشلار بالنقد الموضوعاتي مع تسليمه بأن الخيال دينامية منظمة، والنتيجة التي استخلصها من ذلك على مستوى منهجه النقدي تشبه كثيرا تلك التي استخلصها خلفاؤه، لأن دراسة عمل أدبي ما والتعليق على نص ما إن هو إلا القيام بقراءة وإخضاع الذات لإيعازات النص، وترك الصدى الذي يثيره لينتشر في أنفسنا، فالأمر هو أن نقرأ وأن ندفع إلى القراءة.

يمكن إدراك حدود القراءة الباشلارية للأعمال الأدبية، فالتعليق على نص شعري ما يقود إلى درس عام يميل دوما إلى جعل النص المستشهد به مثالا من بين غيره لقانون عام، واهتمام باشلار بالخيال الانساني في مكوناته الكبرى يفوق اهتمامه بالعالم التخييلي الخاص بكل كاتب، ففكره إذا ليس فكرا "نقديا " بالمعنى الدقيق للكلمة، فهذا الفكر لا يميل إلى إجراء جملة اختيارات وإقامة تمييزات أو تصنيفات، وأولئك الذين جسدوا من بعده النقد الموضوعاتي أعادوا توازن هذا الإجراء عن طريق إعطاء أهمية أكبر لخصوصية الأعمال الأدبية وتفردها.